الشرف فتدبير الاله هو التدبير المطلق وهو التدبير الاشرف. والتدبير ينقسم الى صواب والى خطإ . . .

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٤ العراق — شط العرب — خليج العجم

كانت الباخرة التي ركبناها شركة انكليزية تُدعى تغرس (Tigris) اي دجلة وهي تنتقل بين بغداد والبصرة ولا تصلح للخوض في البحار لاستواء قعرها. واذا قلّت مياه النهر سارت سيرًا بطيئاً لئلّا تصدم بقاعهِ فترتطم. وكانت الامطار لحسن طالعنا قد اعلت سطح النهر فقطعنا المسافة التي تفصل بغداد من البصرة بيومين ونصف ولا تُقطع عادةً باقلّ من اربعة ايّام وهذه المسافة نحو اربعمائة كيلومتر

ركبنا السفينة في مساء يوم الثلاثاء ٣ ك ١ امّا موعد السفر فكان في سحر اليوم التالي. وكان بعض الآباء المرسلين تاطّفوا فرافقونا ليشيّعونا واوصانا بعض تلامذتهم القدماء من موظفي السفينة وكذلك ارسل سيادة المطران اغناطيوس نوري كاهنين من كهنتهِ ليقرئانا الوداع فشكرنا الجميع على ما اظهروهُ نحونا من الانس وتزيد الحفاوة. ثم قضينا قسماً من تلك الليلة في السَّمر في صحبة العمّال وبعض ادباء البغاددة المتحدرين معنا الى ولاية البصرة

وفي غلس يوم الاربعاء اقلعت السفينة فجرت في اواسط دجلة وجرت جرياً حثيثاً لكنهُ ليّناً لا يكاد يحسُّ بهِ الراكب فكنّا نرى ارباض بغداد وفيها ما فيها من انواع المزروعات تميس في وسطها اشجار النخل بسعفها موسوقة بشماريخ التمر وعذوقهِ الضخمة. ودجلة في هذا المكان تقترب من نهر الفرات حتى لا يبقى بينهما مدًى واسع فيُخصب كلا النهرين ما بينهما من الاراضي التي تُعَدّ من اجود تُرَب العمور فهناك تزرع صنوف الغلّات والارزّ والقطن وقد نظم القدماء تلك الجهات في عداد جنائن الارض بل عدُّوها من جنّات عدن . ولولا ما استولى على سكّانها

من خمود الهمّة في القرون الاخيرة لدرّت لبناً وعسلاً كفلسطين واكثر منها (١. والامل معقود اذا أُصلحت القنيّ القديمة وانتظمت اعمال الريّ التي عرضها ولكوكس ووصفها جناب تلميذ كليتنا المهندس لدمونْ افندي بشارة (في المشرق ١٢: ٣٥٣) على ان عمرانها السابق يعود اليها

وفي ضحى النهار رأينا عن بعد في ضفّة النهر الشمالية ابنيةً ضخمة اخذت تتجلى شيئاً فشيئاً للعيان واذا هي قنطرة عظيمة مبنية بالآجرّ يبلغ علوُّها نيفاً وثلاثين متراً وبقربها بقايا قصر ذي اربع طبقات يرتفع فوق اربع قناطر أُخر فكنّا نعاين نوافذهُ وأُطرهُ ورواشنهُ واروقتهُ وجدرانهُ ونقوشهُ ولا تشبع العين من رؤية زخارفهِ. فتلك انقاض طاق كسرى او ايوان كسرى الذي تكرّر ذكرهُ في تاريخ الفتوحات الاسلامية وقد خصَّهُ حضرة الاب انستاس الكرملي بوصف ولسع دوّناهُ في اعداد السنة ١٩٠٢ من المشرق (٥: ٦٧٣ و ٧٨٠ و ٨٣٤) فافاد واجاد ولم يبقِ لنا مجالاً للمزاد. فهناك كانت مدينة طيسفون (Ctésiphon) الشهيرة حاضرة ملوك العجم الاكاسرة من الدولتين الاشكانية ثم الساسانية. وكان بازائها مدينة أُخرى اقدم عهداً تُدعى سلوقية بناها على ضفّة دجلة اليمنى او الغربية سلوقوس نيكاتور احد قوّاد الاسكندر في اوائل القرن الثالث قبل المسيح. وكان العرب يدعون هاتين المدينتين وبعض المدن المجاورة لها بالمدائن وبقيت المدائن عامرة يقيم فيها جاثليق النساطرة الى ان غلب عليها تمرّ بغداد فدخلت في خبر كان

ومن الآثار الباقية قريباً من هناك جامع صغير لكنهُ قديم ولطيف البناء شيَّدهُ المسلمون لذكر سلمان پاك اي سلمان الطاهر من اصحاب نبيّهم وهو المعروف بسلمان الفارسيّ كان زاهداً وقيل راهباً نصرانيّ نسطورياً اسلم فتولّى عمل المدائن وكانت وفاتهُ سنة ٣٦ هـ (٦٥٧ م) ويزعمون انهُ عاش ٢٥٠ بل ٣٥٠ سنة (كذا).

ولنهر دجلة بعد ذلك تعاريج وليّات عديدة يبتعد فيها عن الفرات بعد اقترابهِ منهُ وهي تعرّض السفينة للارتطام ولذلك كان قائماً على جانبَيْ مقدَّمتها نوتيّان لا يزالان يسبران قعر النهر فيعلمان الربّان بنتيجة سَبرهما

ثم وصلنا الى العزيزيّة وهي بلدة صغيرة على ضفّة دجلة اليُسرى اصبحت منذ

(١) اطلب مقالة الاب انستاس في حالة بغداد التجاريّة والزراعية (المشرق ٨: ٣٤١)

سنة ١٨٨٤ مركزاً مهماً بفتح ترعة جادي واستثمار منجم من الملح المدني هناك وفيها يقيم اليوم قائمقام السنجق وقد صار اقبال اهلهـا على الزراعة فزادت الغلات زيادةً مذكورة. وكان على يميننا سنجق الحلّة حيث كانت بقرب الفرات بابل القديمة التي استخرج الاثريون كثيراً من عادياتها. وهناك بقايا برج نمرود حيث يُروى ان بني نوح شيَّدوا ذاك الصرح العالي الذي فيه تبلبلت السنتهم. واخربتُهُ الباقية في يومنا تبلغ ١٢٩ قدماً في الدار و١٥٨ في الطول و١١١ في العرض. اما الحلّة فمدينة وسطى اهلها ٣٠,٠٠٠ وتُعرف بحلّة بني مزيد موقعها في ارض بابل. قيل انَّ اوَّل من اختطَّ منازلها وعظَّمها سيف الدولة صدقة بن دبيس بن عليّ بن مزيد الاسديّ سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م)

ووراء هذا السنجق سنجق كربلاء حيث مدينة كربلاء والنجف مزاريّ الشيعة كما سبق وهناك كانت قديماً على الفرات او بعض شعَبهِ مدن شهيرة كالحيرة حاضرة بني المنذر والكوفة الشهيرة بنُحاتها والانبار حيث اقام بنو عباس مدَّةً قبـل بناء بغداد والقادسية حيث كانت المعركة العظيمة التي ابادت ملك الاكاسرة وفتحت العراق للمسلمين في أيام عُمر بن الخطّاب. وتلك الجهات كلهـا ذائعة الشهرة جرت فيها وقائع تشيب لذكرها الاطفال منذ عهـد الدول الاولى التي ظهرت على الارض الى زمن دولة الاتراك. وفيها يدخل سواد العراق الذي افاض قدماء الكتبة بوصف خصبهِ ووفرة غلّاتهِ وزيادة خيراتهِ

في صباح الخميس ٥ ك ١ ارست سفينتنا ساعةً عند كوت الامارة وهي مدينة صغيرة اكثر اهلها مسلمون شيعيُّون وهي احدى اقضية بغداد ومركز لقائمقام. قيل انَّها دُعيت قديماً باسم أمير على قبيلة ربيعة كان يدعى بكوت. ولعلَّ كوت هذه قامت بعد خراب مدينة كانت هناك في وسط الطريق بين البصرة وبغـداد على الجانب الغربيّ من دجلة عُرفت بواسط واشتهرت في القرون الاولى من الاسـلام بكثرة بساتينها ومياهها وغلّاتها وقصورها فاخفى عليها الدهر

*

وفي ظهر النهار بلغنا حدود ولاية بغداد ودخلنا ولاية البصرة وكنَّا نرى جانبي النهر منازل وخياماً تسكنها قبائل من العرب فكان صغارهم اذا رأوا سفينتنا

تراكضوا اليها واغلبهم في أشمال رثّة او لا يستر عريهم ثوب فيصرخون طالبين البخشيش فكان ركّاب السفينة يلقون في النهر قطعاً من الخبز او دريهمات فيتهافت الصغار للحال ويرمون بنفسهم في الماء فيلتقطونها او يغوصون الى قعر النهر فيستخرجونها. وكلّ هذه نواحي العراق يكثر فيها العرب وهم من قبائل شتى (١ اكثرهم عدداً قبيلة المنتفك قيل ان عدد خيمهم ٧٠,٠٠٠ ونفوسهم ٣٥٠,٠٠٠ وكان اميرهم منصور يُدعى بسلطان البرّ وهم يسكنون ولاية البصرة في السنجق المنسوب اليهم وكلهم شيعيُّون. ومنهم بنو لام على حدود ولايتي بغداد والبصرة في جهات العمارة عدد خيمهم ٢٤,٠٠٠ والنفوس ١٢٠,٠٠٠. ومنهم بنو دُلَيم خيمهم ٤٤,٠٠٠ والنفوس ٢٢٠,٠٠٠ في غربيّ ولاية بغداد. ومنهم بنو عنزة وعددهم يبلغ نحو ٥٠٠,٠٠٠ نكنهم متفرّقون في العراق والجزيرة والشام ومثلهم بنو شمّر الذين يبلغون ١٨٥,٠٠٠ وعدد خيمهم ٣٧,٠٠٠ وبنو طيّ البالغ عدد خيمهم ١٧,٠٠٠ ونفوسهم ٨٥,٠٠٠. ومن قبائل العراق الشهيرة بنو خزاعة او الخزاعل الذين عرّفهم في المشرق سنة ١٩٠٧ (٥: ١٢٨؛ ١٦٣؛ ٢٠٦) حضرة الاب انستاس الكرملي وكذلك بنو عُبَيد

ولهؤلاء الاعراب عادات يتمازون بها في احوالهم وتدابيرهم السياسيّة والادبيّة تحت قيادة امرائهم او شيوخهم لم يكادوا يخالفونها منذ اجيال عديدة ومعاشهم غالباً من رعية المواشي. وبينهم اهل الحضر الذين يرتزقون بالفلاحة

اوّل مدينة لقيناها في ولاية البصرة عمارة وهي مركز قضاء يقيم فيها المتصرّف وتحتها ثلاثة اقضية. ومدينة عمارة حديثة البنيان يرتقي اصلها الى سنة ١٨٦٠ حيث خلّف الفريق محمّد بك الدياربكرلي بقبائل العرب التي كانت هناك وابتنى ثكنة لجنود الدولة فجاء قوم من البصرة وبغداد فسكنوا في جوارها وعدد اهلها اليوم نحو ١٢,٠٠٠ وهي طيّبة الهواء. وقد انشأ فيها اللاسالون المكرمليّون دار رسالة ومعبداً ومدارس فيبلغ اليوم فيها عدد الكاثوليك قريباً من الالف (راجع مقالتنا رسولا الخير العام في مدينة السلام في المشرق ١٥: ١٦٩ و١٧٢)

---

١) اطلب كتاب المرحوم حبيب شيحا في بغداد (H. K. Chiha: *La Province de Bagdad*, p. 234-250)

وسنجق عمارة يبلغ خصباً غريباً لطيب تربتها وكثرة القنيّ والمُنشّيات التي تجري فيها مياه الريّ فتسقي نواحيها حتى انّ محصولاتها الزراعيّة كادت تبلغ ٢٠٠,٠٠٠ طنّ لولا انّ قسماً من تلك المياه تستنقع في بعض البطائح فتتولّد فيها الحشّيات الخبيثة التي اشتهرت بها ولاية البصرة وتنقل جراثيمَ تلك الحشّيات ضروبٌ من البعوض وهم يدعونهُ البقّ فدعوا مستنقعات البصرة بأمّ البقّ لكثرة هذه الحشرات فيها

وكذلك عُرف في سنجق عمارة وما يليها من سنجق المنتفك قومٌ كثيرٌ فيهم القال والقيل نزيد بهم الصابئة او المندائيّون وفي المشرق في اعداد سنيه الثلاثة ١٩٠٠—١٩٠٢ مقالات مستفيضة لحضرة الاب انستاس الكرملي في تعريف هذه الشيعة الغريبة واصلها وفصلها وتعاليمها فلتراجع . وهم يسكنون في جوار دجلة لما قُضي عليهم من الاغتيالات المتعدّدة في الاسبوع وقيل انّ عددهم لا يتجاوز من عشرة آلاف الى ١٢,٠٠٠ نفس

وفي سنجق المنتفك في القضاء المعروف بشطرة العمارة كانت مدينة لاكَاش احدى حواضر قدماء الكلدان الذين سبقت دولتهم مملكة الاشوريين . وهذه المدينة الجليلة لم يبقَ منها سوى اخربة تُعرف باسم تلّو فاحتفر فيها السيو دي سرزك (de Sarzec) والكبيتان كُرو (C^te Gros) الحفريّات التوالية التي اوقفتنا على اقدم آثار تلك الدولة فنُقل منها قسم كبير الى متحف اللوفر في باريس . وكذلك الانري الانكليزي القنصل تلّر (Teller) استخرج دفائن ثمينة من تلّ المعروف بابي شهرين واحتفر الالمان زركلي وكلها في قضاء شطر العمارة . وهناك اخربة المُقيّر التي اجروا فيها الحفريّات وتعرّفوا منها انّها مدينة اور الكلدانيين موطن ابراهيم الخليل المذكور في سفر التكوين (١١ : ٣١) وقيل انّ فيها كان مولدهُ . وزعم البعض انهُ ولد في اركَ المعروفة اليوم بالوركاء من مدن العراق (اطنب وصفها في المشرق ٦ : ٤٥٤ للاب انستاس الكرملي)

في رأد الضحى من يوم الجمعة ٦ ك ١ مررنا بقرب جامع لليهود رأيناه من عن يميننا يدعونهُ نبي عُزَير ويدّعون انّ فيهِ قبر عزرا الكاهن صاحب السفر المنسوب اليهِ في التوراة وهم يحجّون اليهِ من كل صوب ويعظمونهُ وقد ابتنوا حولهُ بعض الخانات والمنازل لاهل نحلتهم

وفي منتصف النهار بلغ بنا السير الى القرنة وهي مدينة صغيرة حديثة البناء اتخذتها الدولة العليَّة لمراقبة حركات العجم المجاورين لتلك الناحية . واسمها القرنة لشارة الى اقتران دجلة والفرات عندها فيبتدئ منها ما يدعونهُ بشطّ العرب . ومن القرنة الى خليج العجم تستطيع السيرَ السفنُ التجاريَّةُ الكبرى التي لا تتجاوز عادة مرسى البصرة اذ يبلغ عرض النهرين نحو الفي ذراع في عمق سبعة او ثمانية امتار . والتقاليد المحليَّة تزعم انَّ الفردوس الارضيّ كان هناك وأروتا شجرةً كبيرة من جنس البَدْر كثيفة الاغصان صفراء الزهور ادَّعوا انَّها شجرة معرفة الخير والشرّ المحكيّ عنها في سفر التكوين (٢ : ١٧) . وفي القرنة يجري كلّ يوم مدُّ البحر وجزرُهُ فانَّ بحر الهند المتَّصل ببحر فارس يمدُّهُ ويجزرهُ وبحر فارس يُصعد مياه شطّ العجم ويهبط بها . واذا صعدت المياه سقت للقاطنات المرتفعة فوق الارصفة من البصرة الى القرنة . والقرنة هذه مشهورة بانسجتها الناعمة منها الأعبية الرقيقة الغالية الثمن المعروفة بالخاشيَّة

وبعد قليل اندفع مركبنا ايسير شوطهُ الاخير فوصل في اصيل النهار الى البصرة فارسى في الحوض الذي تجري اليه مياه شطّ العرب بازاء المدينة او بالحري بازاء ابنية مرفأ البصرة لانَّ المدينة تبعد عن الميناء نحو خمسة اميال . وكانت في المرسى سفينة اسمها جاوة (Java) من احدى الشركات الانكليزيَّة (British India Steam Navigation C°) على وشك السفر الى بمباي فنزلنا محلّ الشركة في المدينة لقطع اوراقنا واذا بالمحلّ مقفل فزرنا الوجهاء من آل الاصفر من اقارب بيت الاصفر في بغداد ثمَّ عدنا راجعين وانتقلنا الى الباخرة جاوة فقطعنا فيها اوراق سفرنا

وكان بودّنا ان نتجوَّل في المدينة مع شهرتها في تواريخ العرب غير انَّ بعض رفقتنا الذين كانوا يعرفونها حقّ المعرفة افادونا انَّ البصرة الحاليَّة ليست بصرة العرب فانَّ الحاليَّة حديثةٌ ليس فيها ما يستحقّ الذكر . فاهلها نحو ٢٥٠٠٠ معظمهم المسلمون وبينهم نحو الفي ارمنيّ غريغوري ونحو الف كاثوليكيّ وللآباء الكرمليين دارٌ في البصرة يسكنها غالباً احد مرسليهم ويدير مدارسها ويخدم رعاياها وكذلك للكلدان كنيسة ورعيَّة تحت نظارة احد كهنة الناطق بالكرسيّ البطريركيّ .

والمدينة ضيقة الارجاء وسخة يتزاحم فيهـا اهلها وتكثر فيها الاوبئة . وانما اتخذ والي البلد وحاشيته والقناصل واصحاب الاعمال التجارية لهم مقاماً اصلح واقرب الى الشط منذ زمن مدحت باشا فبنوا فيه الدور الواسعة والمعاهد الفسيحة

اما بصرة القديمة فتبعد عن الحالية نحو عشرة اميال في جوار قبر زُبَير الصحابي وبه تُدعى . وكان بانيها الخليفة عُمر في مكان مدينة اخرى قديمة في السنة ١٤ للهجرة (٦٣٦ م) واشتهرت بعد ذلك بتجارتها وبلغ عدد اهلها نحو مئتي الف وفيها كان النحاة البصريون الذين نازعوا فئة الكوفيين في آرائهم اللسانية في القرون الثلاثة الاولى للاسلام لكنّ تلك الحركة خمدت بعد ذلك وقد اخبر ابن بطوطة في كتاب رحلته كيف انهُ سمع خطيب البادة يلحن في خطبة يوم الجمعة . ثمّ خربت بعـد ذلك وقد بقي من آثارها سورهـا القديم مع شرفاته وابراجه . وزُبَيْر التي خلفتها قريةٌ يبلغ اهلها نحو ٥٠٠٠ نفس وحولها مزارع ومباطخ اشتهر بطيخها

وليس بعيداً منها تلّ احتفرهُ الاثريون ووجدوا فيهـا عاديات ترتقي الى عهد الدولتين الاشورية واليونانية فاستدلُّوا بهـا على ان هناك كانت مدينة طريدون (Térédon) التي اتخذها نبوكدنصّر كمرفإ لجنوبي مملكته وكان البحر يمتدّ اليها وهو اليوم بعيد عنها

والبصرة في زماننا واسعة المتجر تبلغ قيمة صادراتها السنوية ما يساوي نحو ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك . وغنى البصرة بمحصولات غلّاتهـا ولا سيما تمرها الشهير الذي تبلغ اصنافهُ فوق السبعين صنفـاً ويصدرون منهُ نيّفاً وخمسين الف طنّ وذلك من البصرة وحدها . اما ولاية البصرة فيبلغ مجموع تمرها نيّفاً ومليوني طنّ

ومن صادرات البصرة الملح فانّ هناك ملّاحات واسعـة كملّاحات حمدان والكويت وغيرها وملحها من اجود الاصناف قيل انّ ملّاحة حمدان تتّسع نحو ١٨ كيلومترًا مربّعاً ولو شاؤوا لاستخرجوا منها في السنة الفَ الفِ كيلو من الملح

وفي ولاية البصرة ايضاً كانت قديماً غابات واسعة تأوي اليها ضواري الحيوان بقي منهـا الى اليوم ذئاب وسباع وخنازير البرّ وحمار الوحش والنعام وقليل من الاسود والسباع . وكثيراً ما ورد ذكر الاسود في تواريخ العراق وعرب المنتفك يصطادون بعضها الى يومنا في سنجق نجد اللاحق بالبصرة قيل انّ بنات شيوخهم

كنَّ اذا خطبهنَّ احد لا يرضين به زوجاً الَّا اذا قتل اسدًا واتى برأسه الى خطيبته كمهر واجب للاقتران بها

سارت سفينتنا جاوة في سحر يوم السبت ٧ ك ١ متَّجهةً الى مصبّ شطّ العرب في بحر فارس والمسافة من البصرة اليه نحو تسعين كيلومترًا . وكانت السفينة غاصّة بالركّاب اكثرهم من اهل الشيعة قدموا من العجم والهند الى النجف وكربلاء ليزوروا مشاهد اوليائهم وهم اليوم عائدون الى بلادهم . فسنحت لنا الفرصة بان ندرس طباعهم فكانوا يقضون نهارهم في الحديث وشرب الشاي وتدخين النرجيلة وفي خدمتهم عبيدٌ لا شغل لهم الَّا إعداد اكلهم وشربهم وكان طعامهم لا يكاد يختلف كلّ يوم وهو الخبز والارزّ يؤدمونهُ بادام اصفر مركّب من الخردل والافاويه يدعونهُ الكاري وكانوا اذا انتهوا من اكلهم تبعتهم نساؤهم وهنَّ غير محتجبات فيأكلنَ بعدهم ثمَّ ياكل الخدَم . واهل الشيعة لا يسمحون لذميّ ان يمسّ طعامهم وان فعل كسروا الآنية التي اكل او شرب منها . وكنَّا نسمع لغَط تلك النسوة وجلبتهنَّ طول النهار الَّا في اوقات الصلاة فكان الرجال يجتمعون من جهة والنساء من جهة اخرى وكلّ فئة تتغنَّى بالسور القرآنيَّة على نغمة تطرب منها الآذان . واكثر هؤلاء العجم يقرأون القرآن وهم لا يفهمون معناهُ اذ لا يعرفون العربيَّة فكانوا اذا كلَّمناهم بهذه اللغة يعجزون عن الجواب ويكرمونا لمعرفتها

وصلنا بعد مسير ساعة الى مدينة المحمّرة وهي مدينة حديثة على ضفَّة شطّ العرب الشماليَّة وهي خارجة عن حدود تركيَّة تخصّ العجم . وكانت هذه المدينة خاملة الذكر الَّا انَّ الانكليز منذ نحو عشرين سنة جعلوها مربطاً لسفنهم وعندها يصبّ في شطّ العرب نهر كارون . فالشركة الانكليزيَّة نالت الرخصة من دولة العجم بان تقطع النهر فتبلغ الى الاهواز حيث تُفرغ سلعها التجاريَّة التي تنقلها من هناك مراكب صغيرة الى ششتر حتى اصفهان . فصارت بذلك المحمّرة مركزًا تجاريًّا هامًّا وزاد نفوذ الانكليز في جهات فارس

وفي ظهر النهار وصلنا الى مصبّ شطّ العرب في الخليج العجميّ فتختلط مياههُ العذبة بالماء المالح . وهناك على الضفة اليسرى بلدة فاو وهي عبارة عن قلعة للدولة العليَّة تحرسها فرقة من الجند وحولها بعض ابنية للجمرك والتلغراف وبيوت

قليلة لعرب تلك الناحية مع بعض الاشجار التي تظلّلها . وللانكليز في فاو مركز تلغرافي متصل بالهند ويمتدّ من فاو برًّا الى الاستانة ومنها الى اوربا . وقلعة فاو شيّدها الاتراك لمراقبة حركات الانكليز في تلك الجهات ولمزاحمة تجارة العجم في المحمرة . وعند مصبّ شطّ العرب كانت قديماً مدينة عبّادان التي خربت اليوم كان يسكنها على ما قيل عرب النصارى المعروفين بالعباديين فسُمّيت باسمهم عبادان

وقد تأكد الاثريّون انّ بحر العجم كان يتّصل في القرون السالفة الى جهات بغداد فالنهران دجلة والفرات لم يزالا يأتيان بتربة يسحبانها في سيرهما حتى تكوّنت بها اراض جديدة غاية في الخصب

ولم تُطل الاقامة في فاو فسرنا في خليج العجم الذي يفصل بلاد فارس عن جزيرة العرب . فمررنا في مساء النهار قريباً من قضاء الكويت من اقضية ولاية البصرة التي يتولّى شؤونها الشيخ مبارك الصبّاح فكاد ان يستقلّ بتدبيرها وتدبير نواحيها بمساعدة الانكليز . ولحضرة الاب انستاس في المشرق سنة ١٩٠٤ (٧ : ٤٤٩ ؛ ٥٠٧) مقالة مستجادة في الكويت وكائنًا احوالها لولا انّ مراقبة المطبوعات في ذلك الوقت اسقطت منها قسماً كبيرًا

اصبحنا في غد ونحن خائضون بحر العجم وكان ذلك اليوم موافقاً للاحد ٨ ك ١ وفيه عيد الحبل بالعذراء مريم بلا دنس فنصبنا مذبحنا النقّال في احدى غرف السفينة التي تلطّف ربّانها وسمح لنا بها وقدّمنا الذبيحة المقدّسة ذكرًا لتلك التي تدعوها الكنيسة كوكب البحر وكان البعض من ملّاحي السفينة اصلهم من البورتغال وهم يدينون بالدين الكاثوليكيّ فدعوناهم لاستماع القدّاس فاجابوا بارتياح الى دعوتنا واظهروا من التقى ما اوقفنا على حسن ايمانهم

وبعد طلوع الشمس بمدّة ارست سفينتنا عند مدينة من العجم اسمها بوشهر قضينا امامها بقيّة يومنا . وبوشهر هذه مدينة تجاريّة ليس فيها ما يستحقّ الذكر لكنّ تجارتها واسعة لكونها فرضة شيراز والسفن الانكليزيّة تتردّد اليها من الهند فتُنقل منها محصولات العجم . ومنها أبحرَ معنا سائحان المانيّان كانا تجوّلا في جهات العجم وكان قصدهما ان يعودا الى اوربّة على طريق بغداد وما بين النهرين لكنّهما اذ سمعا بما جرى هناك من الفتن عدلا عن طريقهما فقصدا الهند . وكذلك ركبت

السفينة سيدة انكليزية تدعى مس تنر (Miss Tanner) كانت قطعت وحدها اقطار العجم مع خادمة وطنية لتؤلف كتاباً عن تلك البلاد

ومن يوشهر عادت سفينتنا مغربة فقطعت عرضاً الخليج العجمي الى جزائر البحرين وهذه الجزائر يقطنها نحو خمسين الفاً من العرب يرتزقون كلهم من صيد اللآلئ . وكان موسم صيد اللؤلؤ قد انتهى يوم وصولنا وهو يدوم من اواسط نيسان الى اواسط تشرين الاول . وقد وصف حضرة الاب انستاس مغاصهم بكل ظروفه في مقالته عن الكويت (المشرق ٧ : ٥٠٧) فلتُراجع

وهذه جزائر البحرين كان اهلها قديماً نصارى كما اثبتنا ذلك في مقالاتنا عن النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ولا يزال بينهم آثار من دينهم القديم كعادة اكرام الصليب . وتُرى الى اليوم بقايا كنائس كانت هناك سابقاً ولانكلترة النفوذ في تلك الجزائر حتى ان البعض يعدونها من املاك الانكليز

وكنا مدة سيرنا في بحر العجم نفاين ما بريطانية العظمى من النوز في تلك الجهات فان اربعة اخماس المراكب التي كنا نصادفها كانت انكليزية وكفى بذلك دليلاً على تقدم تلك الدولة في جهات العجم حتى بغداد التي فيها يُقيم طول السنة طرّاد انكليزي للدفاع عن حواليه الجالية الانكليزية . فانكلترة سلطانة الخليج العجمي بلا منازعة

وفي البر الذي وراء البحرين بلاد الاحساء العربية المعدودة من نجد والدولة قد جعلتها سنجقاً لاحقاً بولاية البصرة مركزه مدينة الاحساء المعروفة ايضاً بالحفوف يبلغ عدد اهلها نحو ١٢٠٠٠ واهل نجد يرتزقون بالنخل وبصيد الاسماك والغوص على اللؤلؤ ولهم المواشي الكثيرة وضروب الخيل الجياد . ومن مدن نجد المذكورة في عهدنا التليف وقطر . واهل نجد من الشيعة الوهابية التي ظهرت في تلك البلاد منذ نحو ١٢٠ سنة وتفاقمت حركة انصارها حتى خافت الدولة على سلطتها ولا تزال النار حتى الآن كامنة تحت الرماد . وتعصبهم الديني بالغ مبلغه لا يدعون اجنبياً يسكن بينهم وقلّ من امكنه من سياح الفرنج ان ينفذ في وسطهم ليصف بلادهم . وليس للتعليم بينهم نصيب الا بعض الكتاتيب الابتدائية القليلة

وصلنا في صباح يوم الاربعاء ١١ ك ١ الى لنجه من مدن فارس الساحلية

للفتوحة لتجارة العجم وهي حسنة الموقع كثيرة البساتين الّا انّ حركتها التجاريّة دون حركة بوشهر . واهمّ من لنجه مدينة بندر عبّاس التي بلغنا اليها في اليوم التالي . وهذه المدينة كانت تدعى گمرون فلمّا اختارها الملك شاه عبّاس في اوائل القرن السابع عشر كعرضة بلاد كرمان انتسبت اليه وموقعها قريب من مضيق هرمز وفيها تباع بضائع العجم لا سيما الصمغ العربي والطنافس الغالية الثمن والشالات والانسجة العجميّة والمصاغات المختلفة ولقربها من جزيرة العرب يقبل على بضائعها عرب عُمان واليمن . واهلها نحو عشرين الفاً . ولانكلترّة بازائها جزيرتان صغيرتان اسمهما كشم ولارك ارادت ان تحصّنهما ثم اهملتهما لاحتدام حرّهما في الصيف

ومن بندر عبّاس دخلت السفينة في مضيق هرمز الذي يوصل خليج العجم ببحر عُمان . وهرمز جزيرة في شماليّ المضيق لا يزيد اليوم اهلها على ٥٠٠ وكانت قديماً كبيرةً عامرةً فترقى اليها المراكب وتنقل اليها امتعة الهند فتُرسل الى كرمان وسجستان وخراسان فاستولى عليها البرتغاليّون في القرن السادس عشر . ودخلها المرسلون اليسوعيّون وكان اوّلهم الاب غبار بَرْزه (G. Barzée) في عهد القديس فرنسيس كسفاريوس فنشر فيها الدين الكاثوليكيّ . ثمّ غلب الانكليزُ البرتغاليين في القرن السابع عشر واخربوا المدينة (لهُ بقيّة)

النار العجيبة في القبر المقدّس

نبذة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي

طلب منّا جناب صديقنا الدكتور اغناطيوس كراتشكوفسكي تزيل بيروت سابقاً ان ننقل لهُ ما كتبهُ العرب في امر النار العجيبة التي توقد كلّ سنة في القبر المقدّس يوم سبت النور على موجب الكلندار الشرقيّ القديم . فاجابةً الى سؤله ندوّن هنا شيئاً من اقوال العرب في هذا الصدد بل نشبع قليلاً في هذا الموضوع زيادةً للافادة